

الفرج بعد الشدة

[293] فوضعوا فينا السيوف، وكنت أنا المطلوب خاصة لما شاهدوه من تدبير القوم برأى وعلموه من أنى رئيس القافلة فقطعوني بالسيف ولحقتني هذه الجروح وفى بدنى أضعاف أضعافها. قال: وكشف لنا عن أكثر جسده فإذا به أمر عظيم لم ير مثله فى بشر قط. قال: وكان فى أجلى تأخير فرميت نفسى بين القتلى لا يشك فى تلفى. قال: فلما كان بعد ساعة أفقت فوجدت فى نفسى قوة والعطش بى شديد فلم أزل أتحايل حتى قمت أطلب من القافلة قدح ماء لاشرب منها فلم أجد أحدا، ورأيت من القتلى والمجروحين الذين هم فى آخر رمق وسمعت من أنينهم ما أضعف نفسى وأيقنت بالتلف وقلت: غاية ما أعيش إلى أن تطلع الشمس، فملت أطلب شجرة أو محلا لاجعله طلالى من الشمس إذا طلعت فإذا بى قد عثرت بشئ عظيم لا أدرى ما هو من الظلمة، وإذا أنا منبطح عليه بطولى وطوله فثار من تحتي فحسست عليه وكنت قدرته رجلا من الاعراب فإذا هو أسد فحين علمت ذلك طار عقلى، وقلت: إن استرخيت افترسني فعانقت رقبته بيدي ونمت على ظهره وألقيت بطني بظهره وجعلت رجلاى تحت مخصاه وكانت دمايى تجرى فحين دخلنى ذلك الفزع الشديد رقى دمي وعلق شعر الاسد بأفواه الجروح فصار سدادا لها وعونا على أن أمسك نفسى فوقه، وورد على الاسد منى أطرف مما ورد على منه فأقبل يجرى كما تجرى الفرس على طريق وأنا أحس بروحى وأعضائي تنقص من شدة جريه، فلم أشك فى أنه يقصد أجمته فيلقيني إلى لبوته فتفترسني إلا أنى ضبطت نفسى، وأنا أوئل الفرج وأدافع الموت، وكلما هم الاسد أن يربض ضربت مخصاه برجلي، فيطير وأنا أعجب من نفسى ومطيتي وأدعوا ا عزوجل وأرجوه، وما زلت على ذلك إلى أن ضربني نسيم السحر فقويت نفسى وأقبل الفجر يضى، فتذكرت طلوع الشمس فجزعت ودعوت ا عزوجل فما كان أسرع من أن سمعت صوتا ضعيفا لا أدرى ما هو، ثم قوى فشبهته بناعورة. قال: والاسد يجرى وقوى الصوت فلم أشك فى أنه ناعورة ثم صعد بى الاسد إلى تل فرأيت منه بياض ماء الفرات، وهو جار وناعورة تدور والاسد يمشى على شاطئ الفرات برفق إلى أن